

□ كتاب جديد تحت الأضواء

أقدم الوثائق الوقفية باللغة العربية في يوغوسلافيا

تأليف المستشرق : د. حسن كاليشي

عرض ونقد المستشرق : فتحي مهديو

جامعة بريشتينا

أستاذ قسم الاستشراق

وضع الدكتور (حسن كاليشي) كتابه القيم الموسوم (أقدم الوثائق الوقفية باللغة العربية في يوغوسلافيا) والمؤلف هو رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة (بريشتينا) في كوسوفا . وقد تم افتتاح هذا القسم في العام الدراسي ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م . وعلى حداثه عهده جذب اليه الكثير من محبي الثقافة والحضارة العربية التي انتشرت بين شعوب البلقان طوال خمسة قرون .

وكان لصدور الكتاب أثر عظيم في المنظمات والمؤسسات العلمية في البلاد اليوغوسلافية وفي خارجها . وعلى الرغم من قصر الزمن على صدوره ، فقد كانت له أصداء واسعة في المؤسسات العلمية الثقافية . فما يجدر ذكره أن الأستاذ (الكسنندر بوبوفيج Aleksander Popović) علق عليه في أقدم مجلة علمية للبحوث الشرقية في العالم وهي (الجريدة الآسيوية Journal Asiatique) في باريس ، وعرض فيها فهرسة للبحوث العلمية ذكر فيها مؤلف الأستاذ الدكتور (حسن كاليشي) كذلك نشرت عنه (المجلة الدولية الاسلامية في هامبورغ Der Islam Hamburg) وكتب الأستاذ الدكتور هانز جورجن (Hans Jürgen) في المجلة البلغارية Edudes Balcanques في صوفيا . وتحدثت عنه عدة دراسات في المجلات المحلية في يوغوسلافيا .

ان الكتاب المذكور له أهمية كبيرة جدا من حيث أنه يعرف بالتاريخ الثقافي للعرب في بلاد البلقان ، وينقل للعالم العربي صورة من البحث العلمي في يوغوسلافيا ، وهو محبوب في ثمانية أبواب مع مقدمة وقائمة أبجدية ومدخل للكتاب .

أما الباب الأول (من ص ٢١ الى ص ٤٩) فيتحدث المؤلف عن دخول اللغة العربية في يوغوسلافيا وانتشارها في أصقاعها ، ويبحث أيضاً في أثر الثقافة والمدنية الاسلامية في البلاد .

وفي الباب نفسه يصف المؤلف تقبل الشعب اليوغسلافي للثقافة والكتابة والمدنية العربية التي كان لها أثر بارز في حياة الشعب اليوغسلافي بل في حياة شعوب كثيرة في الشرق والغرب على حد سواء .

لأول مرة يبحث المؤلف بأسلوبه المميز عن الوثائق المتعلقة بالزواج والطلاق والمرافعات والطلاق الصراح على الرقيق والمسجلات المختلفة والشهادات التي كتبت باللغة العربية . وليس باللغة التركية العثمانية . وهو يقدم النصوص الأصلية باللغة العربية ، ولكن مما يؤسف له أن نسخها على الآلة الكاتبة أفقد على القارئ فرصة الاطلاع عليها كما وردت في نصوصها الأصلية .

قد تكون قراءة هذه النصوص في أصولها صعبة على الباحث العلمي ، لكن كان بمقدوره أن يقدم لنا هذه النصوص بصورتها الأصلية بعد عرضها بخط الآلة الكاتبة ، لكن ذلك من الأفضل . ويجدر أن نذكر من هذه الوثائق (اجازتنامه) وهي تنقل لنا كشافاً بأسماء الأساتذة والعلماء في مختلف ميادين العلم والثقافة .

ويورد لنا في هذا الباب أيضاً أن المسيحيين كانوا يتقدمون الى قضاة المحاكم الشرعية بدعوى الزواج والطلاق ، ولهذا الخبر أهمية بالغة من الناحية الاجتماعية والدينية . أما في الباب الثاني من ص ٤٩ الى ص ٦٣ فالمؤلف يبحث عن الوقفيات وطبيعتها فيقسمها الى ثلاثة أبواب :

أ - المخطوطات الوقفية

ب - النسخ الوقفية التي تقدم لنا صوراً عن النسخ الأصلية للوقفية المفقودة .

ج - الوقفية نفسها التي تقدم لنا المصادر الأولى أو النسخة الأصلية التي تمكننا من الوقفيات من الناحية التاريخية والقانونية واللغوية وغير ذلك من الجوانب .

وفي الباب نفسه يتحدث المؤلف عن الجوانب الدبلوماسية للوقفيات وعناصرها المختلفة ، فقد تكون بياناً تفسيرياً أو تحويلاً للملكية بالهبة أو البيع أو بالوصية أو بالشرطة ، وأوضاع الوقفيات أمام المحكمة والمراسيم القانونية . الخ .

ولقد أشار المؤلف أن موضوع الوقفيات الدبلوماسية يدرس لأول مرة دراسة علمية إذ لا نجد ذلك في البحوث الدبلوماسية العثمانية التي ظهرت حتى الآن كدراسة المستشرقين (ل . فيكيك L. Fikit - كوبوكلو Kuboklu) (١) .

أما في الباب الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن (من ص ٦٥ الى ص ٣٠٨) فيستعرض تسع وقفيات باللغة العربية في يوغسلافيا ، أولها :

١ - وقفية (سنكر كاوش بك Senker Kaaush Bej) من مدينة مناستير ، ويعود تاريخها الى شهر ابريل ١٤٣٥ م (ص ٧١-٨٨) ويشير المؤلف الى أن هذه الوثيقة هي أقدم الوثائق المدونة من نوعها في اقليم يوغوسلافيا مما تم اكتشافه حتى الآن .

١ - وهما مستشرقان من الباحثين الصليبيين في علم اللغة التركية .

٢ - وقفية (اسحاق بك Ishak Bej) من مدينة اسكوبيا وتاريخها فبراير ١٤٤٥ (ص ٩٥ - ١١٨) .

٣ - وقفية (سنان الدين جلبي Sinan Qelebi) وتاريخها عام ١٤٩١ (ص ١١٩ - ١٤٣) .

٤ - وقفية اسحاق جلبي من مدينة مناستير وتاريخها يونيو ١٥٠٦ م .

٥ - وقفية اسحاق جلبي من مدينة مناستير وتاريخها يونيو ١٥٠٨ م .

٦ - وقفية اسحاق جلبي من مدينة مناستير وتاريخها يونيو ١٥١١ م .

٧ - وقفية اسحاق جلبي من مدينة مناستير وتاريخها ايلول - تشرين أول ١٥١١ م (ص ١٥٢ - ٢١٨) .

من هذه الوقفيات الأربع اثنتان لاسحاق جلبي من مناستير (٢) واثنان آخريان من سلانيك (٣) .

٨ - وقفية (مصلح الدين المارديني Musleh Din Mardini) وهو الذي بنى (خان قرشملي) في مدينة اسكوبيا . ويعود تاريخها الى ٢١ ديسمبر ١٥٤٩ - ٢ يناير ١٥٥٠ م وهي احدى الوثائق التي اشتهر المؤلف بكتابتها بأسلوبه الرصين (ص ٢٢٥ - ٢٥٦) .

٩ - وقفية (كوجوسنان باشا Kyqy Sinan Basha) وتاريخها ٢٣ يوليو ١٥٥٦ م (ص ٢٧٨ - ٣٠٨) .

ويقدم المؤلف هذه الوثائق باللغة العربية ثم يتبعها بنسخها الأصلية لكي يتمكن الباحث العلمي من المقارنة بينها وبين أصولها ، ويمهد لكل وثيقة بدراسة عن انشاء الوقفيات قبل الحديث عن الوقفية نفسها ، فنرى مثلاً دراسته عن الوزير / كوجوسنان باشا / اذ يقول : انه الباني الجنسية من (توبويان Tubujan) في منطقة (لوما Luma) انه يعطي لنا صورة حسية عن مزيد من الشخصيات الألبانية في هذا المجال ، وقد نجده يشك بالوقفية تاريخياً وفيلولوجياً ثم يعرض النص الأصلي والترجمة . ولو بدأ بالترجمة ثم قدم النص الأصلي لكان من الأفضل وهو يحلل كل وثيقة على حدة تحليلًا علمياً .

ولا يكتفي المؤلف بدراسة الوقفيات وترجمتها فحسب بل نجده يبين أموراً أخرى ذات أهمية علمية بالغة . منها انه يقارن موقف الباحثين من كل مشكلة تاريخية ، ويعرفنا بالمناوين الكاملة للبحوث التي تطرقت لدراسة الوقفيات ويقدم لنا صورة حقيقية عن المؤلفين ومؤلفاتهم وسيرهم (٢٠٥ - ٣٤٨) وقد نراه يصحح لبعض المؤلفين الذين تطرقوا

٢ - مدينة في جنوب يوغوسلافيا .

٣ - مدينة في مقدونيا قريبة من بلاد اليونان .

لمشكلة الوقفيات • بعد دراسة جدية فان الأستاذ الدكتور (حسن كاليشي) يحاول أن يضع المشكلة في موضعها الحقيقي فيحللها تحليلًا كاملاً •

وبهذا يقدر على تصحيح النص في الوثيقة التي تأخذ بعد ذلك شكلها الحقيقي (الصفحات ١٢٤ - ١٢٥ - ١٦٠ - ١٦١) •

وينبغي ألا تدهشنا نزعة المؤلف العلمية وترجمته الأمانة كما أشرنا فالأستاذ الدكتور (كاليشي) هو متمكن من اللغة العربية في البلاد اليوغسلافية • وفي أثناء تأليفه لهذا الكتاب رجع الى مصادر عديدة بلغات مختلفة من تركية وألمانية وانكليزية وفرنسية •

وفي الصفحات التي تقع ما بين ص ٣٠٩ الى ٣١٣ يختم المؤلف كتابه وتليه صفحات المصادر والمراجع ٣١٥ - ٣٢٠ • ونرى أن المؤلف قد اهتم اهتماماً كبيراً بتحقيق الكتاب فرجع الى مكتبات أنقرة واستانبول وبوسنة ومقدونيا وكوسوفا •

وختم الأستاذ الدكتور (حسن كاليشي) كتابه ٣٢١-٣٤١ باللغة الالبانية والألمانية • ولو قدمها بالعربية لكان أقرب الى العارفين بهذه اللغة وذلك أفضل بكثير لأن الكتاب يهتم بالثقافة العربية وانتشارها في الدول البلقانية •

وقد أورد في خاتمة الكتاب الأسماء الجغرافية والطوبوغرافية ص ٣٤٣ - ٣٤٤ وأسماء الأعلام ص ٣٤٨ - ٣٥٦ •

فالكتاب مكتمل من الناحية العلمية ، وقد بذل (د • كاليشي) جهداً ملحوظاً في تأليفه مع الاعتراف ببعض الهنات كما ذكرنا آنفاً ، لكنها لم تؤثر في ما قدم لنا المؤلف من دراسة وتحليل علمي وبحث •

ولهذا الكتاب أهمية ثقافية ولا سيما في مجالي التاريخ السياسي والقانون فهو يتطرق في مواضع جمة الى الحكم العثماني في يوغسلافيا ، ومن خلال الوثائق المطبوعة في هذا الكتاب عرفنا أسماء عدد من منشئي الأوقاف الذين لعبوا دوراً فعالاً في بناء منشآت كثيرة ثقافية وصحية ودينية واجتماعية وتاريخية وأدبية •

وقد كشف المؤلف بهذه الوثائق بعض الجوانب التي لم تكن مدروسة دراسة موضوعية نذكر على سبيل المثال أنه أظهر أن (خان قرشلي) في اسكوبيا لم يكن من بناء (جوستنيان

Justinian) كما ذكر بل انشأه (المارديني) الذي أنشأ خاناً وحماماً في تريبيجا Trepça و (سوق نوفي Nuvi Pazar) كما حل مشكلة بناء جامع سنان باشا في مدينة بريزرين Prezeren ومدينة (كاجانيك Kaçanik) •

ولا شك أن كتاباً من هذا النوع يتطلب تحقيقه المأمناً بالمخطوطات العربية والتركية ومعرفة بأنواع المنشآت • ليس لنا الا أن نهنيء المؤلف متمنين أن يواصل عمله الثمين في هذا المجال •

فتحي مهديو

جامعة بريشتينا - كوسوفا - يوغسلافيا